الجمعة

للأستاذ محمود سليم

« يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين

(الجمعة ٩ : ١١)

لكل أمة مضت عيد ، وعيد هذه الأمة الإسلامية يوم الجمعة .

هو عيدنا الأسبوعى ، الذى ينبغى أن تتسم فيه بسمات الجمال والكمال .

إن لليهود يوم السبت .

وللنصارى يوم الأحد .

وللمسلمين يوم الجمعة .

ولقد عظم الله يوم الجمعة ، ففرض فيه صلاة الجمعة ، على كل مسلم ، وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم له آدابا وسننا ، إذا تأملتها وجدتها كلها ، تهدف إلى إظهار يوم الجمعة بالمظهر اللائق به .

فلقد قال صلى الله عليه وسلم : إذا أراد أحدكم أن يأتى الجمعة فليغتسل .

ومعنى هـــذا أن النظافة واجبة على المسلمين فى ذلك اليوم .

وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم أن يلبس الإنسان أحسن ثيابه ، ويتطيب ، ويمشى إلى المسجد فى سكينة ووقار ، وأن يبكر إلى المسجد ما استطاع .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنه ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة

فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر .

وتأمل معى المسلمين جميعا ، خمسمائة مليونا من الناس ، وقد خرجوا جميعا من بيوتهم ، قبل نداء الجمعة بساعة أو ساعتين ، يمشون إلى المساجد مغتسلين ، محلقين ، متطيبين ، متسوكين فى ملابس بيض ، كأنهم الملائكة يمشون مطمئنين على الأرض ، فإذا ما جاءوا إلى المساجد ، صلوا ركعات لله ، ثم جلسوا صامتين مفكرين ذاكرين خشعين ، ينتظرون الصلاة .

فإذا ما جاء الأئمة ، خطبوهم فيما ينفعهم من أسبوعهم ، ثم أدى الجميع الصلاة ، متجهين إلى قبلة واحدة ، فى وقت واحد .

ثم انصرفوا ، وقد شهدوا بعضهم بعضا ، وأنسوا بالله ، وأنسوا بأنفسهم .

ياله من مشهد يوم عظيم ! .

أبصر به وأسمع ! .

ولهم بعد ذلك أن ينتشروا فى الأرض ويبتغون من فضل الله .

ذلك يوم عيدنا ، وذلك شىء من جماله وكماله .

إلا أن الناس قد ضيعوا ذلك ، واوشك يوم الجمعة أن ينطمس فى قلوبنا ، ويذهب نوره من أفئدتنا .

وأول الوهن فى الأمر أن أقواما لا يصلون الجمعة ، وينصرفون إلى لهوهم أو تجارتهم ، وقد كثر هذا الصنف ، حتى كاد أن يصبح شيئاً مألوفا ! .

وثانى الوهن أن كثيراً من خطباء الجمعة قوم أثريون ، يتثاقلون وهم يصعدون إلى المنابر ، ثم يلقون إلى الناس كلاما ميتا لاحياة فيه ، ثم ينزلون إلى الصلاة كأنهم أعجاز نخل منقعر .

هؤلاء قوم منفرون ، قوم ينبغى استبدالهم بآخرين يحبون الله ويحبهم ، يتدفقون شبابا ، ويبادلون الناس حياة بحياة .

ولو يدرك الخطيب الأثرى مدى مايتركه فى نفس المصلى من حسرة وألم ونفور ، ما عاد إلى خطابته الأثرية أبدا ...

وثالث الوهن أن يوم الجمعة ينبغى أن يكون له أوامره الرسمية .

فمثلا ... تحرم الدولة فتح المتاجر اطلاقا حتى صلاة الجمعة ، ثم بعد ذلك تبيح فتحها .

فلو أن مدينة كالقاهرة أغلقت

متاجرها كلها من صباح يوم الجمعة إلى ما بعد الجمعة بساعة مثلا وهو الوقت الذى تقضى فيه الصلاة ، لاستطاع كثير من العمال والموظفين والتجار أن يؤدوا صلاة الجمعة ويعطوها حقها من الاستعداد . إذ كيف يصلى عامل بمحل تجارى ، وهو يعمل كادحا فى محله حتى أذان الجمعة ؟ .

كيف لهذا المستضعف أن يصلى ، وهو يخشى على رزقه من الضياع ؟ .

ولكن إذا حرمت الدولة فتح المتاجر فى النصف الأول من يوم الجمعة ، لأتاحت بذلك الفرصة للمصلين أن يصلوا .

ثم لكان هذا مظهرا رائعا لوحدة الدولة ، واتجاهها إلى الله .

وإنى ليحضرنى هنا مثال عملى ، ذلك أن صديقا لى يحافظ على الصلاة من صغره ، ويحب لعب الكرة حبا جما .

ثم كانت المباراة بيننا وبين فريق البرازيل يوم الجمعة من آخر أبريل ، وذهب فيمن ذهب ينتظرون المباراة من الساعة التاسعة صباحا ، وكان الزحام شديدا والجو حارا ، وجاءت صلاة الجمعة ، فآثر صاحبنا أن يحافظ على مكانه ، ولم يستطع أن ينزل إلى المسجد ليؤدى صلاة الجمعة . وكان هذا هو شأن آلاف من المتفرجين فى الملعب ، أضاعوا صلاة الجمعة طوعا أو كرها فلو أن الدولة وضعت فى اعتبارها ذلك ، لأمكن لها أن توفر للمصلين صلاتهم . وكان ذلك سهلا ميسورا ، لو أن المشرفين على المباراة أغلقوا أبواب الملعب حتى الساعة الواحدة ، ثم فتحوها بعد ذلك . إنهم لو فعلوا لأتاحوا للناس صلاتهم إلى جوار لهوهم .

ذلك مثال مما يصنع المجتمع من تضييع صلاة الجمعة .

وهناك غيره كثير يمكن تداركه بقليل من التنظيم .

ولسنا فى ذلك نطلب بدعا من النظم ، أو جاهلية من الحياة .

كلا ... فإن يوم الأحد فى أوروبا وأمريكا ، يوم له بهجته وعظمته وتنظيمه وروعته .

سل الذين ذهبوا إلى أمريكا عن يوم الأحد ، يحدثوك كيف يخرج الناس جميعا ليفرحوا ويمرحوا ، وكيف يذهبون إلى الكنائس ، وكيف يعتبرون العمل يوم الأحد جريمة كبرى

ولئن كان هذا هو حال الأجانب في يوم عيدهم ، فكيف بنا وقد جعل الله لنا يوم الجمعة عيدا مفروضا وأمرا مشروعا ؟ .

يقول صلى الله عليه وسلم : ليتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين .

ويقول : خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ...

ورابع الوهن أن قوما يخطبون الناس يوم الجمعة فيطيلون كأنما بينهم وبين الناس ثأرا دفينا .

ترى الخطيب يمكث على المنبر ساعة أو أقل قليلا ، يقول ويقول ، ويبدىء ويعيد ، ويأتي على الإسلام من أوله إلى آخره في خطبة واحدة !

هو لا يدرى ماذا يقول ، والمستمعون لا يدرون ماذا يريد هذا الرجل أن يقول .

أعرف مسجدا بجوار منزلى ، يخطب فيه رجل يمكث نحو الساعة في خطبته ، ولقد ألف المصلون منه ذلك وألف هو من نفسه هذا ، فترى المسجد بعد أذان الجمعة بنصف ساعة ولا أحد فيه ، وهو يخطب على المنبر وجدران المسجد تستمع إليه !

وسبب ذلك أن المصلين لما رأوا اصراره على التطويل ، رتبوا أنفسهم أن يحضروا وهو يشرف على النهاية حتى لا يسأمون ويضجرون ! .

وهؤلاء الخطباء ليس عندهم أثارة من علم ، أو شيء من توفيق .

ولقد نسى هؤلاء توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه ، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة وإن من البيان سحرا

(مئنة : علامة)

تلك خواطر في يوم الجمعة ، لعلنا نتدارك فيها أخطاءنا ، ونصلح من أنفسنا ، ونقوم من عاداتنا .

فيأخذ يوم الجمعة بيننا حقه ، ويعود إليه بهاؤه وسناؤه . ؟

محمود شلبي

المجلة — تحقيقا لما يدعو إليه الكاتب ، فتحنا باب « خطبة منبرية » في هذه المجلة .